سبط ابن الجوزي وأسلوبه ومنهجه في التأريخ للحروب الصليبية

محمود محمد الرويضي*
عليا إبراهيم القطامين**

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ
** مدرس بقسم التاريخ
كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية

الملخص

تناولت هذه الدراسة حياة سبط ابن الجوزي، وتكوين سيرته الثقافية والعلمية، وشيوخه وتلامذته، ومجالسه، وأبرز إنجازاته العلمية، ومشاركته في الحملات العسكرية ضد الصليبيين.

وبينت الدراسة رحلاته إلى حلب ودمشق والكرك ومصر والحجاز، وجهوده في الوعظ والإرشاد والحث على الجهاد في سبيل الله لمقاومة الغزو الصليبي؛ الأمر الذي جعله يحظى بمكانة مرموقة عند أفراد الأسرة الأيوبية وأهالي الشام ومصر، جعلت منه مؤرخاً أسهم في رصد الأحداث والوقائع التاريخية بمنهجية وأسلوب يبدو واضحاً في تأريخه للحروب الصليبية من خلال كتابه "مرآة الزمان".

سبط ابن الجوزي وسيرة حياته

هو يوسف (قزاوغلي[1])[2] بن حسام الدين[3] عبدالله[4] يكنى بأبي المظفر[5]، ويلقب بشمس الدين[6]، التركي، البغدادي[7] نسبة لمولده ونشأته في بغداد، ولقب بالدمشقي،[8] ولعله اكتسب هذا اللقب لطول إقامته في مدينة دمشق، ولقب أيضاً (العوني الهبيري[9])[10]، وقد اقترن اسمه باسم جده ابن الجوزي[11]، الذي تمتع بمنزلة علمية عالية عند الخلفاء العباسيين[12]، وأخذت شهرته باسم سبط ابن الجوزي[13].

أما والده الأمير حسام الدين عبد الله التركي[14]، وهو عتيق الوزير عون الدين بن هبيره[15]، فإن المصادر التاريخية لم تعطِ ترجمة وافية عنه[16]، غير أن بروكلمان يذكر أن والده توفي عقب ولادة ابنه بفترة قصيرة[17]، فقد نقل سبط ابن الجوزي رواية عن والده حول مقتل الوزير أبي محمد بن عبدالله بن هبة بن المظفر(573هـ/ 1177م)، حيث يقول: "حكى لي والدي، رحمه الله، قال: كنت جالساً عند "ابن العطار[18]. ."[19]، إذ تبين هذه الرواية أن سبط ابن الجوزي قد أدرك والده، وعاش في كنفه، وأمر كهذا يخبره به والده، إشارة إلى أنه كان يدرك الأمور ويتعقلها، ويدون الأحداث التاريخية، وهذا يتعارض مع ما أورده بروكلمان الذي لا يشير إلى مصدر معلوماته.

أما والدته، رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج، فإنها كانت على معرفة بعلوم الحديث؛ فقد سمعت من أبيها ابن الجوزي، وسمعت من شيوخ بغداد أمثال ابن البطي[20]. وكانت قد تزوجت عام 572هـ/ 1176م، بابي الفتح ابن رشيد الطبري[21]. وقد أقيم زواجها (بدار الخليفة[22])[23]، وجهزتها زوجة الخليفة بتفشا[24] بمال عظيم[25]، وحضر زواجها القضاة والعلماء ووجهاء بغداد، وهذا يدل على علو مكانة ابن الجوزي عند الخليفة[26]، غير أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، والراجح أن زوجها ابن رشيد توفي في النصف الثاني من العقد الثامن للقرن السادس الهجري[27].

أما زواجها بوالد سبط ابن الجوزي، فإن المصادر الأولية لم تذكر تفاصيل

الزواج أو تاريخه، غير أن سبط ابن الجوزي هو الوحيد الذي يشير إلى زواج والديه[28].

ويقدم سبط ابن الجوزي روايتين حول ولادته، أولهما: يذكر فيها أن ولادته كانت - بحسب ما أخبرته والدته - عام 582هـ/ 1186م، وثانيهما: عام 581هـ/ 1185م، وهي رواية أخبره فيها خاله محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن (ت656هـ/ 1258م)[29] [30]، بينما يذهب الكتبي (ت764هـ/ 1326م)، إلى أن سبط ابن الجوزي ولد عام 583هـ/ 1187م، في بغداد[31]. ويلاحظ أن الاختلاف في الروايات انحصر في الأعوام 581-582هـ/ 1185-1186م، ولعل أكثر الروايات قبولاً ما نقله سبط ابن الجوزي عن أمه؛ لكونها المعنية الأولى في معرفة سنة إنجابها لابنها، أما رواية خاله فلا تبتعد كثيراً عن رواية والدته، ولعل رواية خاله هي التي اعتمد عليها الكتبي.

نشأ سبط ابن الجوزي في كنف جده عبد الرحمن بن الجوزي، حيث تكفل بتربيته وتعليمه، وأطلع عبد الرحمن سبطه ابن الجوزي على علوم الحديث والتفسير والفقه، كما أسهم في تعرفه شيوخ بغداد ومجالستهم[32]، ولكن الظروف لم تساعد سبط ابن الجوزي على مرافقة جده في حياته العلمية؛ لأن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي اعتقل في عام 590هـ/ 1195م وحفيده لا يزال في عقده الأول من عمره، لكن سبط ابن الجوزي لم يتوقف عن تعليم نفسه[33] وتثقيفها، وقد استمر على هذا الحال حتى إطلاق سراح جده عام 595هـ/ 1200م، حيث عاد بعدها إلى كنفه[34].

أقام سبط ابن الجوزي تحت رعاية جده أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي إلى أن توفي عام 597هـ/ 1201م،[35]، وبعد هذا التاريخ بثلاث سنوات توجه سبط ابن الجوزي إلى دمشق لمتابعة تعليمه[36]، وخلال فترة إقامته في الشام تزوج بابنة قاضي حماة الحسين بن حمزة بن الحسين (ت587هـ/ 1192م)، وتعرف باسم زينب (ت 645هـ/ 1247م)، وكان زواجهما في عام 620هـ/ 1123م، وقد أنجبت لسبط ابن الجوزي ولدين هما؛ إبراهيم (ت645هـ/ 1247م)، وعز الدين (ت660هـ/ 1262م)، حيث قام الأخير مقام والده في

التدريس بالمدرسة الناصرية، واستمر على هذا الحال حتى وفاته[37]، ولعل ما وصل إليه السبط من مستوى رفيع في الوعظ والإرشاد عرفه على أعيان الشام، ولهذا جاء اقترانه بإحدى بنات أحد قضاة الشام.

وجدير بالذكر، تجمعت عوامل عديدة أسهمت في تكوين سبط ابن الجوزي ثقافياً وعلمياً، فكان أحد علماء عصره، إذ بلغ الفقهاء والوعاظ في ظل الخلافة العباسية والدولة الأيوبية مكانة خاصة، جاءت نتيجة وعي الخلفاء والسلاطين بمكانة الفقهاء والوعاظ العلمية، حيث وظفوها في الحث على الجهاد والدعوة لمواجهة الغزو الصليبي، وقد شارك السلاطين في حضور المجالس العلمية، وإقامة المدارس والإنفاق عليها[38]. وقد حظي سبط ابن الجوزي بهذه المكانة؛ فقد تلقى العلوم المختلفة من فقه، وتفسير، وحديث، وتاريخ، وأدب، ومن ثم برع فيها[39].

احتلت بغداد مكانة مرموقة في العلم؛ فقد اهتم بها خلفاء البيت العباسي منذ اتخاذها عاصمة لدولتهم، فاهتموا بعلوم الحديث والأنساب، وترجمة الكتب السريانية والأعجمية إلى العربية[40]، وبقيت بغداد محافظة على منزلتها العلمية، حيث كان الخلفاء يولون العلم جل اهتمامهم[41]. فظهر فيها العديد من العلماء وأصحاب المعارف[42]، وقد نهل سبط ابن الجوزي منهم العلم الوفير وتتلمذ على أيديهم، ومن أبرز شيوخه في بغداد: أبو الفرج ابن الجوزي، الشيخ الأول في حياة سبط ابن الجوزي (جده)، وقد نهل عنه التفسير والحديث والتاريخ والسير وعلم الفقه والوعظ[43]. ويحيى بن أسعد الخباز[44]، وهبة الله بن الحسن الهمذاني[45]، وأحمد بن سليمان الحربي[46]، وعبد المجيد بن أبي القاسم[47]، وعمر بن طبرزد[48]، وقد سمع عنهم جميعاً علوم الحديث[49] ونهل عن محمود بن عثمان[50] علوم القرآن والحديث[51]. وسمع من المبارك بن المبارك[52] النحو والصرف والأدب[53]. وحضر مجالس شهاب الدين السهرودي[54] في الفقه والوعظ والتاريخ والأدب[55].

وقد أسهمت مكانة أبي الفرج بن الجوزي العلمية في صقل شخصية سبطه علمياً وثقافياً؛ فقد كان سبط ابن الجوزي يحضر مجالس جده، وأطلعه على

مصنفاته، وكان حضوره لآخر مجالس جده يوم الإثنين 7 رمضان من عام 597هـ/ 11/ 6/ 1201م[56]. وبعد مجلسه هذا، مرض خمسة أيام وتوفي[57].

التقى السبط بعلماء بغداد وحضر مجالسهم العلمية؛ فقد جالس عبدالمنعم بن علي[58] الفقيه الواعظ، وعقد سبط ابن الجوزي أول مجلس له في بغداد عام 596هـ/ 1200م، عند قبر الإمام أحمد بن حنبل، وقد أشار إلى ذلك، حيث قال: "وفيها كان ابتداء جلوسي عند قبر الإمام أحمد... ويجمع خلقٌ عظيم وتهب في تلك المجالس من قبول نسيم يعرف فيها نظرة النعيم"[59]، ولعل السبط منذ اللحظات الأولى في خطاباته، امتلك في شخصيته الحضور والإقبال.

انتقل سبط ابن الجوزي في بداية عام 600هـ/ 1204م، من بغداد إلى الشام[60] وفي طريق رحلته عقد مجلساً في إربل[61]، ومنها توجه إلى الموصل، وعقد مجلساً فيها ثم غادرها إلى حران[62]، حيث التقى فيها الخطيب فخر الدين ابن تيمية[63]، ولعل سبط ابن الجوزي اطلع على مصنفاته في الحديث والتفسير، ثم توجه إلى حلب ومنها إلى دمشق، حيث استقر في جبل قاسيون[64]، وأخذ يعقد مجالس الوعظ في جامع دمشق[65].

حشدت مجالسه العديد من علماء الشام، أمثال تاج الدين الكندي[66]، وأشادت المصادر التاريخية بمجالسه[67]، فقد أشار ابن كثير (ت774هـ/ 1373م) إلى أن سبط ابن الجوزي عندما عزم الخروج إلى حلب في مطلع عام 603هـ/ 1207م، جلس بجامع قاسيون مودعاً أهالي دمشق، فلم يتخلف إلا القليل من أهالي المدينة، وقد صاح الناس عليه رافضين خروجه من دمشق لشدة عذوبة وعظـه وحسن مجالسه[68].

أخذت مجالسه في حلب تجذب أهالي المدينة، واستمرت إقامته فيها حتى نهاية عام 604هـ/ 1208م، حيث ذهب لتأدية فريضة الحج بصحبة تاج الدين ابن حموية[69] الذي أطلعه على تاريخ المغرب[70]، وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى حلب، وأقام فيها حتى عام 606هـ/ 1210م، ثم عاد إلى دمشق[71].

وقد أثمرت إقامة سبط ابن الجوزي في بلاد الشام، حيث تعرف شيوخها، ونهل من علومهم المختلفة، وتتلمذ على أيديهم، ومن أبرزهم: ست الكتبة[72]، وداود بن ملاعب[73]، وابن صصري الحسين بن هبة الله[74]، وموفق الدين المقدسي[75]، حيث أخذ عنهم علوم الحديث والتفسير والفقه[76] وأخذ علوم اللغة العربية والنحو[77] عن الشيخ أبي عمر بن قدامة[78]، وتعلم التاريخ وسير الأنبياء[79] من جمال الدين عبد الصمد بن محمد[80]، واطلع على الجامع الصغير[81] عند شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم[82]، ومحمود بن أحمد الحصيري الحنفي[83] الذي أشاد بمعرفة سبط ابن الجوزي بفنون العلوم ومعرفته بالحديث والمذاهب[84]. وقد اهتم سلاطين البيت الأيوبي وأفراده بإنشاء المدارس في مختلف مناطق البلاد الإسلامية بهدف تعليم المذاهب السنية الأربعة[85] وإحياء الفكر السني، والتصدي لانتشار المذهب الشيعي[86] بالإضافة إلى تدريس علوم القرآن والحديث النبوي[87]، مع التركيز على ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة من آيات وأحاديث دالة على أهمية الجهاد ومكانة الشهيد من باب التحريض على مواجهة الغزو الصليبي[88].

لقد أسهم سبط ابن الجوزي في التدريس والدعوة إلى الجهاد والتصدي للصليبيين[89]؛ فقد بدأ مشواره في التعليم في المدرسة العزيزية – البرانية[90]، المطلة على الميدان الكبير الأخضر بدمشق، وكانت تدرس مذهب أبي حنيفة[91]، كما درس سبط ابن الجوزي بتفويض من الملك المعظم عيسى صاحب دمشق[92] بالمدرسة الشبلية[93]، التي تقع بسفح قاسيون، وكانت المدرسة الشبلية تهتم بتدريس مذهب أبي حنيفة بالإضافة إلى النحو والشعر[94]، وبخاصة أن شعر هذه الفترة "فترة الحروب الصليبية" ركز على شعر الحماسة[95]، ويؤكد ذلك ما نقله سبط ابن الجوزي عن أبي المظفر الإيبوردي[96].

وقد أسهم الشعر الحماسي في استنهاض المسلمين وإثارة العاطفة الدينية لديهم لمواجهة الغزو الصليبي. كما فوض الملك المعظم عيسى صاحب

دمشق، سبط ابن الجوزي، التدريس في المدرسة البدرية التي تقع مقابل المدرسة الشبلية، واتخذ منها مسكناً له حتى وفاته[97].

وقد تتلمذ على يد سبط ابن الجوزي العديد من أهالي الشام واستفادوا من علمه ومعرفته أمثال: نجم الدين موسى السقراوي[98]، وشمس الدين بن أبي الهيجاء[99]، إضافة إلى نخبة أخرى تتلمذت عليه[100].

وضع سبط ابن الجوزي مجموعة من المؤلفات أسهمت في إثراء الحياة العلمية في الديار الإسلامية في القرن السادس الهجري، وكان أبرز مؤلفاته كتاب "**مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**" حيث اشتمل على تواريخ الوفيات لأعلام الديار الإسلامية ومشاهيرها، بالإضافة إلى رصد الأحداث والوقائع التاريخية التي تخص الحروب الصليبية.

أما مؤلفاته الأخرى، فقد وضع كتاباً عرف باسم" **تذكرة خواص الأمة بخصائص الأئمة**"، تناول فيه مناقب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وتحدث فيه عن المغالاة والتشيع[101]. وكتاب "**إيثار الإنصاف في آثار الخلاف**"، ضمنه مسائل فقهية من عبادات ومعاملات، مثل: الطهارة والصلاة، والزكاة، والصوم، والوكالة، والرهن، وغيرها[102]. كما قام بشرح كتاب" روح العارفين" الذي وضعه الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء (622هـ/ 1226م)، بطلب من الملك الأشرف[103]. وألف مجموعة من الكتب[104] اشتملت على الفقه والحديث والتاريخ.

وقد نشأ سبط ابن الجوزي في بغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل[105]، واستمر عليه حتى انتقل إلى الشام عام 600هـ/ 1204م[106] واجتمع بالملك المعظم عيسى[107]، فدعاه لاتباع مذهب أبي حنيفة[108]. وقد وجهت انتقادات للسبط بعد أن اتبع المذهب الحنفي، وذلك عندما كان في أحد مجالسه من أحد الحضور، وطولب أن يظهر ما وجده من عيوب في شخص الإمام أحمد بن حنبل، وحاول السبط التهرب من الإجابة، ولكن السائل أصر على طلبه، فاضطر السبط إلى ترك المجلس[109].

ويبدو أنه ترك المجلس مجاراة للحكام والساسة، ويدل على ذلك ما نقله ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/ 1455م)، حين ذكر "أن سبط ابن الجوزي تحول حنفياً لأجل المعظم عيسى. . .، إلا أنه كان يعظم الإمام أحمد ويتغالى فيه، وعندي أنه لم ينتقل عن مذهبه إلا في الصورة والظاهرة"[110]، وبهذا يكون سبط ابن الجوزي حنبلياً في حقيقته حنفياً في ظاهره.

وكان لسبط ابن الجوزي إسهامات عديدة في توحيد أفراد الأسرة الأيوبية ومقاومة الصليبيين، ويعتبر واحداً من الشخصيات المهمة في رصد الأحداث والوقائع التاريخية، وحظي بمكانة رفيعة عند أفراد البيت الأيوبي وأهالي الشام؛ فقد تمتعت شخصيته بصفات حسنة جعلت منه مؤرخاً وواعظاً، أشادت به المصادر التاريخية، وأشارت إلى هذه الصفات، فهو علامة في التاريخ والسير، صاحب معرفة واسعة[111]، وكان لوعظه وقع في الآذان لما تمتع به من صوت حسن[112]، بالإضافة إلى أنه امتلك في شخصيته الحضور، حيث أقبل الناس على مجالسه القبول العظيم[113].

وأبرز ما تمتع به سبط ابن الجوزي مع أفراد البيت الأيوبي الجرأة في قول الحق، وإنكار ما قد يفعله السلطان، وفيه مخالفة للشريعة الإسلامية[114]، واستطاع سبط ابن الجوزي بهذه الصفات الوصول إلى ما حظي به عند أفراد البيت الأيوبي، ولعل صفاته اكتسبها من تعدد المجالس العلمية التي حضرها في بغداد والشام.

وكان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق قد أرسل إلى سبط ابن الجوزي يطلب منه الجلوس لأهالي الشام في عام607هـ/ 1211م، وحثهم على الجهاد لمواجهة الصليبيين؛ فقد أدرك سبط ابن الجوزي الدور الملقى على عاتقه نحو العدو الصليبي، حيث تمثل بالدعوة إلى الجهاد والحث عليه والمشاركة فيه؛ فجلس عام607هـ/ 1211م[115]، في جامع قاسيون وخاطب أهالي الشام، وبين لهم منزلة الشهيد عند الله – عز وجل –، ومكانة الجهاد في الإسلام، وحثهم على المشاركة في الجهاد ومواجهة الصليبيين، وطالب أهالي دمشق جمع (الشعور)، فأقبلت نساء المسلمين على قص شعورهن لصناعة شكالات

لخيول المجاهدين[116]، واستجاب إليه الأهالي. يقول : "لما صعدت المنبر أمرت بإحضارها (أي الشعور)، فحملت على أعناق الرجال، وكانت ثلاثمائة شكال، فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وقطعوا مثلها"[117].

وقد قدر عدد الحاضرين نحو ثلاثين ألفاً، فلما انقضى المجلس، ونزل سبط ابن الجوزي عن المنبر، تولى قيادتهم وسار بهم إلى نابلس لمواجهة الصليبيين، حيث التقى الملك المعظم عيسى الذي كان مرابطاً هناك، وانضم إلى قواته، وقد خرج المعظم للقائه[118].

ولم يتوان سبط ابن الجوزي في اغتنام الفرص لحث الناس على الجهاد وتحريضهم عليه؛ فقد جلس بجامع نابلس وأحضرت الشعور فلما شاهدها المعظم أخذ بعضها وجعله على وجهه وصدره وأخذ يبكي[119]، فخرج المجتمعون لمواجهة الصليبيين، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً ولم يتجرأ الصليبيون في عكا الخروج لمواجهة المسلمين الذين عادوا إلى ديارهم محملين بالأسرى والغنائم، ويزفون بشائر النصر[120].

أخذت عوامل الصداقة تتوطد بين الملك المعظم وسبط ابن الجوزي؛ فقد اجتمعا في مصر عام 609هـ/ 1213م، عند الملك الكامل محمد صاحب الديارالمصرية، وقد اضطر الملك المعظم إلى مغادرة القاهرة على وجه السرعة، فأوكل لسبط ابن الجوزي الإشراف على أمواله وأمتعته وأقمشته ونقلها إلى دمشق[121].

وقد شارك سبط ابن الجوزي أهالي الكرك في استقبال الملك المعظم عيسى بعد أدائه الحج عام 610هـ/ 1214م، فتحدث عن ذلك قائلاً: "ولما عاد كنت مقيماً بالكرك فخرجت إلى لقائه مع جماعة من الأعيان والأمراء والفقهاء والفقراء. . . فما التفت إلى أحد منهم، فلما رآني ترجل عن ناقته وعانقني"[122].

تعطي هذه الرواية صورة واضحة عن المكانة التي تمتع بها سبط ابن الجوزي عند الملك المعظم، وقوة العلاقة بينهما لدرجة أن سبط ابن الجوزي كان يلقي باللوم والعتاب على الملك المعظم، وينكر عليه بعض أفعاله؛ فقد

أنكر عليه اعتماده على الجواسيس من النساء لنقل أخبار الصليبيين، وبخاصة أنه يغدق عليهن أموالاً كثيرة، واعتبره بمنزلة "إسراف في بيوت الأموال"[123]، وقد علل المعظم عمله هذا بقوله: "أنا أفدي المسلمين بالشيء اليسير وأحفظ الخطير بالحقير"[124].

وانتقد سبط ابن الجوزي ما قام به الملك المعظم عيسى عندما أقدم على تخريب أسوار بيت المقدس عام616هـ/ 1220م[125]، وكان السبب في ذلك خشية المعظم عيسى استيلاء الإفرنج عليه، فأمر بتهديم أسوار المدينة وأبراجها وإخراج الناس من القدس[126]، فانتقد سبط ابن الجوزي هذا الإجراء واعتبره بمنزلة حادثة شنيعة لم يشهد حدوثها من قبل في الديار الإسلامية، حيث قال: "كانت نوبة لم تكن في الإسلام"[127].

وتجرأ سبط ابن الجوزي من جراء المكانة التي كان يتمتع بها عند المعظم أن أنكر عليه إعادة الضرائب، وفتح حوانيت الشرب، والسماح للعامة بشرب الخمر بعد وفاة أبيه العادل، فبرر المعظم عيسى أن إعادته للضرائب والسماح بالخمر في الديار الإسلامية بهدف سدّ حاجات الدولة الإسلامية من الأموال لتتمكن من القيام بواجباتها في التصدي للإفرنج[128]، ولا يعتقد أن هذا سبب كاف يبرر فيه المعظم عمله هذا، ويتعدى على قواعد الشريعة الإسلامية ويبيح ما تم تحريمه بحجة جمع الأموال للتصدي للغزو الفرنجي.

وقد قام سبط ابن الجوزي بدور سياسي متميز وجهود حثيثة لتوحيد صفوف أفراد البيت الأيوبي أمام الغزو الصليبي للديار الإسلامية، وحثهم على التصدي للصليبيين، وذلك بعد سقوط دمياط في أيديهم[129]، وكانوا قد أقدموا على تدمير أسوار المدينة[130]، وحولوا مسجدها إلى كنيسة، وفرقوا أهلها[131]، وقد وصلت أخبار الإفرنج وما قاموا به إلى الملك المعظم عيسى الذي أخذ على عاتقه السعي لتحرير دمياط، فبعث إلى سبط ابن الجوزي كتاباً بخط يده يقول فيه: " قد علم الأخ العزيز بأنه قد جرى على دمياط ما جرى وأريد أن تحرض الناس على الجهاد وتعرفهم ما جرى على إخوانهم في دمياط من الكفرة أهل العناد. . . وأريد أن يخرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم الأصاغر والأكابر" .

وعندما وصلت رسالة المعظم إلى سبط ابن الجوزي جلس بجامع دمشق، وقرأ ما جاء في كتاب المعظم عيسى، فأجاب أهالي دمشق في بداية الأمر، ثم تراجعوا عن المشاركة لاختلافهم في ما قد يجنونه من غنائم، وتخاذلوا عن الخروج بسبب الضرائب التي كان يجبيها المعظم منهم، ولم يبق مع سبط ابن الجوزي إلا القليل من الدماشقة فتوجه بهم إلى الملك المعظم عيسى في نابلس، حيث كان قد تم تحديد المكان والزمان في كتابه، ثم توجهت القوات إلى قيسارية واستطاعوا فتحها عنوةً[132].

وتدل الوقائع والأحداث السابقة على أهمية الوعظ والإرشاد في التوعية للجهاد، فقد أيقن المعظم عيسى بمنزلة سبط ابن الجوزي بين أهالي بلاد الشام وقيمة مجالسه، ومدى تأثيره على الناس وتوعيتهم في مواجهة الغزو الصليبي، وخير دليل على ذلك الكتاب الذي أرسله المعظم عيسى لسبط ابن الجوزي بخط يده.

وطلب الملك المعظم عيسى منه التوجه إلى الملك الأشرف موسى صاحب ديار الجزيرة وخلاط[133] الذي كان مقصراً في حق السلطان الكامل، فتوجه سبط ابن الجوزي لمقابلة الملك الأشرف، ومعه كتاب المعظم، فلما بلغ الأشرف وصول سبط ابن الجوزي خرج لاستقباله وعاتبه على انقطاعه عنه، وجرى بينهما حوار، قال فيه سبط ابن الجوزي: " المسلمون في ضائقة وإذا أخذ الإفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت وعدوا إلى مكة والمدينة والشام وأنت تلعب. قم الساعة وارحل "[134].

استطاع سبط ابن الجوزي أن يؤثر على الأشرف وأقنعه بنجدة إخوته المسلمين، فأمر الأشرف قواته بالاستعداد للمغادرة إلى حمص، حيث كان مقيماً آنذاك عند المعظم، وكان قد سبقه سبط ابن الجوزي إلى حمص، وعندما التقت جميع الأطراف اتفقوا على مهاجمة الصليبيين ونجدة الملك الكامل محمد، وجرت مواجهات بين الصليبيين والمسلمين فتح خلالها جند المسلمين الترع على سفن العدو، وشدد جيش الكامل قبضته على الصليبيين، فأرغموهم على إعادة دمياط إلى الحظيرة الإسلامية[135].

وبهذا تكون جهود سبط ابن الجوزي قد آتت أكلها في إقناع الملك الأشرف موسى بنصرة الإسلام والتصدي للغزو الصليبي، كما حقق للملك المعظم ما قد أثارته عليه غيرته الإسلامية.

واستمرت علاقة سبط ابن الجوزي بالملك المعظم عيسى حتى وفاة الأخير عام 624هـ/ 1226م، وقد جلس سبط ابن الجوزي في جامع دمشق طيلة أيام العزاء وكان يغلب عليه البكاء[136].

انعكست علاقة سبط ابن الجوزي مع الملك المعظم عيسى على أفراد البيت الأيوبي؛ فقد تمخضت هذه العلاقة عن تعرف الأشرف موسى، حيث أرسل الأشرف يطلب سبط ابن الجوزي للحضور إليه في خلاط، وأوكل إليه مهمة نقل كتاب فيه قضايا لا يرغب الملك الأشرف أن يطلع كاتبه عليها، وأن يرسلها إلى الملك الظاهر غازي في حلب، وقد قام سبط ابن الجوزي بنقل الكتاب إلى الملك الظاهر، ولم يذكر سبط ابن الجوزي تفاصيل هذا الكتاب[137]، وهذا يدل على مدى الثقة التي كان يتمتع بها سبط ابن الجوزي بين أفراد البيت الأيوبي لدرجة استئمانه على علاقاتهم السرية.

وقد حضر الأشرف، مجالس سبط ابن الجوزي في خلاط وحران ودمشق وأشاد بأحد مجالسه، قائلاً: "وكان يوماً مشهوداً"، وبعد انقضاء المجلس جلس سبط ابن الجوزي مع الأشرف ودار بينهما الحديث، فاستأذن الأشرف في الحج للمرة الثانية والاعتكاف، فأجابه الأشرف إلى ذلك وجهزه للحج[138].

لم تتوقف إسهامات سبط ابن الجوزي في مواجهة الصليبيين ومقاومتهم سواء في مشاركته العسكرية أو مجالسه التي كانت لا تخلو من الإرشاد والوعظ وتوعية العامة، وذم كل من يتواطأ معهم، فعندما أقدم الملك الكامل محمد والملك الأشرف موسى على تسليم بيت المقدس[139]، للإمبراطور فردريك الثاني[140] عام 626هـ/ 1229م، ثارت حفيظة سبط ابن الجوزي والمسلمين، ولعل ذلك يعود إلى مكانة القدس وأهميتها الدينية، والتفريط بها، فطلب الناصر داود صاحب حصن الكرك من السبط الجلوس بجامع دمشق والتحريض على ما قام به الكامل والأشرف[141].

جلس سبط ابن الجوزي بأهالي دمشق وبين لهم مكانة بيت المقدس عند المسلمين، فقال: "انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشة المجاورين كم كان لهم في تلك الأماكن من ركعة وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة، تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما وفت، ولو تقطعت قلوبهم أسفاً ما شفت، أحسن الله عزاء المؤمنين ويا خجلة ملوك المسلمين، لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات، لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات" (142).

ويتبين من النص السابق موقف السبط المعارض للملكين الكامل والأشرف، كما يبين أهمية بيت المقدس للمسلمين ومكانته الدينية، ويعتبر أنه البلاء الأعظم الذي هز المسلمين بل هو فقيدهم جميعاً حين وصف تسليم بيت المقدس بالعزاء الذي فقد فيه المسلمون مدينة لها منزلتها الرفيعة في الإسلام.

ولم يقتصر دور سبط ابن الجوزي من الكامل والأشرف على ذم فعلتهما بل أفتى بفتوة تقضي بقتالهما ومحاربتهما(143)، وبهذا يكون السبط قد قدم جزءاً من حق دينه عليه مبتعداً عما جمعه من علاقات حميمة وصداقة طيبة جمعته بالأشرف موسى والكامل محمد.

وعلى الرغم من وقوع العداوة بينه وبين الملك الأشرف، فإنه استمر يعترف بمكانة الأشرف وإحسانه وكرمه وفضله عليه، ولكي يبعد سبط ابن الجوزي الحرج عن نفسه من مجالسة الملك الأشرف موسى ومواجهته؛ التزم الوعظ والإرشاد في زاويته(144).

وكان آخر مجلس عقده سبط ابن الجوزي بعد تسليم بيت المقدس، وقبل مغادرته دمشق دعا فيه للملك الأشرف ثم أخذ يتنقل بين الكرك والقدس منذ عام 626هـ/ 1229م إلى 633هـ/ 1237م، ليعود بعدها إلى دمشق، ويبدو أن العلاقات تحسنت بين الأشرف وسبط ابن الجوزي بعد عودة الأخير إلى دمشق؛ لأن الملك الأشرف أخذ يشارك جموع الحاضرين بالاستماع لمجالس سبط ابن الجوزي؛ فقد عقد سبط ابن الجوزي مجلساً، كان له الأثر في نفس الأشرف؛

الأمر الذي جعله عقب المجلس يعتق مماليكه وجواريه[145]. وعندما قاربت منيته لازمه سبط ابن الجوزي وكان يزوره حتى توفي عام 635هـ/ 1239م[146].

وبذلك يكون سبط ابن الجوزي قد حظي بمكانة رفيعة عند أفراد البيت الأيوبي، وقد حافظ عليها حتى وفاته، ولكن شابها بعض الأحيان اختلال، ولعل هذا نابع من اختلاف وجهات النظر بينه وبين أفراد البيت الأيوبي التي تم الإشارة إليها.

وقد فضل سبط ابن الجوزي عقب تسليم الأشرف والكامل بيت المقدس للصليبيين عام 626هـ/ 1229م[147]، الانتقال من دمشق إلى الكرك في العام نفسه بصحبة صاحبها الملك الناصر داود[148]، واستمر بعقد مجالسه في الكرك، وأخذ يتردد على القدس، وأقام فيها فترة من الزمن، وقد أشار إلى ذلك، فقال: "وأقمت في القدس سنين" وكان لمدينة القدس نصيب من مجالسه[149]، وقد التقى فيها الملك الصالح نجم الدين أيوب[150]، الذي كان محبوساً بالكرك عند الناصر داود، وبعد إطلاق سراحه، توجه إلى القدس حيث اجتمع بسبط ابن الجوزي[151].

عاد سبط ابن الجوزي عام 633هـ/ 1237م، إلى دمشق دون أن يبين أسباب عودته على الرغم من إشارته إلى وجود أسباب دفعته للعودة إلى دمشق، حيث قال: "ثم جرت أسباب أوجبت قدومي إلى دمشق"[152]، ولعل سبط ابن الجوزي وجد في مدينة دمشق المكان المناسب لحياته العلمية نظراً لاهتمام سلاطين البيت الأيوبي بهذا الجانب خاصة في دمشق.

عاد سبط ابن الجوزي إلى دمشق قادماً من الكرك عام 633هـ/ 1237م، وأقام فيها حتى وفاة الملك الأشرف عام 635هـ/ 1239م، وكان قد عكف على عقد مجالسه بجامع دمشق[153]، وعقب وفاة الأشرف وجد سبط ابن الجوزي أن الرحيل عن دمشق أصبح ضرورة؛ نظراً لما وقع بينه وبين الوزير السامري[154]، فقد أقدم الأخير - بحكم مركزه في الدولة الأيوبية - على عزل سبط ابن الجوزي عن مجالسه، وكلف شخصاً آخر، من طرفه، للقيام بعقد مجالس الوعظ[155]. وعندئذ غادر سبط ابن الجوزي دمشق متوجهاً إلى القدس، وأقام

فيها حتى عام 638هـ/ 1242م، غير أن حنين العودة إلى دمشق شد السبط إليها، فعند وصوله إلى دمشق تآمر عليه الوزير السامري، حيث أرسل أحد أعوانه إلى السبط ودار بينهما حوار حول إخراج نجم الدين أيوب من سجن الكرك عام 633هـ/ 1237م، وعندما عاد رسول السامري إليه أخبره بما دار بينه وبين سبط ابن الجوزي حول الصالح نجم الدين أيوب، فعمد السامري إلى تهويل الأمور وتضخيمها أمام الملك الصالح إسماعيل مستغلاً بذلك موقف سبط ابن الجوزي الداعم للصالح نجم الدين أيوب الأمر الذي أثار حفيظة الصالح إسماعيل عليه[156].

ولهذا أمر الصالح إسماعيل بإخراج سبط ابن الجوزي من دمشق، فوصف السبط ما حدث له، قائلاً: "فأخرجونا في حر شديد إلى حماة ، فصعد بخار عظيم إلى رأسي وأتلف عيني وكادت تذهب"[157]، وأقام في حماة حتى عام 639هـ/ 1243م، وعاد بعدها إلى دمشق "رغم أنف السامري" ، كما يذكر[158].

لم يجد سبط ابن الجوزي رغد العيش في دمشق، كما كان عليه الحال أيام المعظم عيسى والأشرف موسى، فقد كثر الأعداء والمنافسون له، لذلك نجده كثير السفر والترحال؛ فقصد مصر، وأخذته الإقامة بها، حيث أتيح له تعرف علمائها وشيوخها؛ فقد اجتمع عام 640هـ/ 1241م، بالشيخ أبي العباس بن ما سيف[159] في القرافة[160]، وجرت بينهما مذاكرة في مواضيع الصلاة[161].

قصد سبط ابن الجوزي الإسكندرية عام641هـ/ 1242م، فوجدها معمورة بالعلماء، فالتقى بالشيخ عبد الرحمن أبي شامة[162]، وعقد في الإسكندرية مجلسين تاب فيهما من العاصين ومخالفي الشريعة الإسلامية نحو ألفي شخص، وعندما عزم العودة إلى القاهرة طلب منه أن يعقد مجلسه الثالث في الإسكندرية؛ الأمر الذي جعل الأهالي يتمسكون به، فلم يستطع مغادرة الإسكندرية إلا ليلاً والناس نيام[163].

توجه سبط ابن الجوزي إلى القاهرة وبقي فيها حتى عام 643هـ/ 1243م، ثم غادرها متوجهاً إلى قاسيون، وبقي يتجول بين مدن الشام وبغداد حتى عام 646هـ/ 1247م، وهو العام الذي عاد فيه إلى مصر، حيث التقى الملك الصالح

نـجم الدين أيوب، وأقام في ضيافته مدة من الوقت، ثم أخذ يتنقل بين مدنـها حـتى عام 653هـ/ 1255م[164].

يتضح مما تقدم أن سبط ابن الجوزي قد عاصر الحملة الصليبية السابعة على مصر إلا أنه لـم يشارك جموع المسلمين في الدفاع عن الديار المصرية، ويخبرنا أحداث الحملة نقلاً عن أشخاص شاركوا فيها[165]، ولعل عمره منعه من الاشتراك في مقاومة الحملة، حيث كان يبلغ من العمر مايقارب خمسة وستين عاماً.

عاد سبط ابن الجوزي إلى قاسيون وبقي فيها حتى وفاته[166]؛ ويذكر أن الملك الناصر يوسف[167]، أنشأ مدرسة في دمشق عند باب الفراديس، ودعا الأمراء والقضاة والفقهاء لافتتاحها، فلم يتخلف أحد سوى سبط ابن الجوزي، فبعث إليه الملك الناصر فاعتذر عن عدم الحضور لمرض قد نزل به[168]، وبقي سبط ابن الجوزي على هذا الحال حتى توفي ليلة 21 من ذي الحجة 654هـ/ 9/ 1/ 1257م،[169] بمنزله بسفح جبل قاسيون ودفن فيه[170]، وحضر جنازته سلطان البلاد الملك الناصر، وجمع غفير من أهالي الشام[171]. ويبدو واضحاً أن وفاته كانت في عهد دولة المماليك البحرية[172] في مصر، في حين لا يزال الحكم الأيوبي قائماً في بلاد الشام[173].

منهج سبط ابن الجوزي وأسلوبه في التأريخ للحروب الصليبية

اتبع سبط ابن الجوزي منهجية متميزة في نقل معلوماته، واستخدم لغة وألفاظاً سهلة تساعد القارئ العادي على الوصول للحقيقة التاريخية بطريقة سليمة، واعتمد نظام الحوليات في رصد الأحداث التاريخية، ولجأ أحياناً إلى جانب نظام الحوليات، لتخصيص بعض العناوين المنفردة لأحداث بارزة كموقعة حطين والحملة الصليبية الثالثة[174] في كتابه "مرآة الزمان"، فجاءت معلوماته عن الصليبيين في الجزء الثامن، القسم الأول منذ عام 495هـ حتى 589هـ/ 1101م-1194م. والقسم الثاني بدأت معلوماته منذ عام 590هـ حتى 654هـ/ 1195م-1256م.

ويتضح من سنوات الجزء الثامن – القسم الأول – بالمقارنة مع تاريخ ولادته عام 582هـ/ 1186م، أنه اعتمد في معلوماته على شهود عيان ومصادرعاصرت أحداث الفترة، فقد نقل عن ابن الفلانسي (ت555هـ/ 1160)[175] الذي شاهد تجبر الصليبيين في أراضي الساحل الشامي عام 502هـ/ 1108م، ومهاجمتهم أراضي حلب عام 518هـ/ 1124م[176]. بينما القسم الثاني، فالأغلب أن معظم أحداثه دونها بالاعتماد على مشاهداته أو على شهود عيان نقلوا له الأحداث التاريخية، وبخاصة أن هذه الفترة انتقل فيها من بغداد إلى الشام حيث مسرح الأحداث، وقد شارك في حركة الجهاد من خلال الوعظ والإرشاد بحث الناس على الجهاد، كما أنه تولى قيادة المتطوعة من أهل دمشق، وقصد بهم نابلس حيث يرابط الملك المعظم عيسى[177].

كما يتضح من خلال كتاباته حسه القومي الرفيع وتعصبه فيما يخص اعتداء الصليبيين على الديار الإسلامية، فنجده جريئاً في ذم من يتواطأ مع الصليبيين على الإسلام، فعندما تحالف الأمير منير الدين أنر صاحب دمشق مع ملك مملكة بيت المقدس وكثرت مكاتباته للصليبيين واستنجاده بهم ضد نور الدين محمود بن زنكي، قال فيه: "وأذل الإسلام وأهله في أيامه وساءت سيرته وكثر فساده"[178]. ويميل أسلوبه في نقل الوقائع إلى الاختصار في بعض الأحيان ويبتعد عن الاستطراد[179]، وهذا يساعد الباحث في توحيد أفكاره وعدم تشتيتها، ونجده دقيقاً في نقل المعلومات، حيث يشير إلى الغنائم والأسرى والقتلى بتعدادها، فقد هاجم الصليبيون ربض حماة وقتلوا من أهلها مائة وعشرين رجلاً[180]، ويمتاز بدقته في تحديد التواريخ، حيث يذكر اليوم والشهر والسنة، كقوله: سار بلدوين إلى صور في الخامس من جمادى الأولى عام 505هـ/ 1111م[181]، ويذهب إلى تحديد فترة القتال، حيث يقول: "فقاموا يقاتلون أربعين يوماً" واجتمع الصليبيون على طرابلس وحاصروها من أول شعبان إلى الحادي عشرمن ذي الحجة عام 502هـ/ 1108م[182]، وهذا يدل على دقته في تحديد الفترة الزمنية للقتال مما يؤكد مشاهدته للأحداث ومعاصرتها.

وعلى الرغم من أن سبط ابن الجوزي اعتمد في أسلوبه على الموضوعية

العلمية في رصد الأحداث فإنه ابتعد عنها قليلاً؛ فقد أشار في سياق حديثه عن السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ/ 1193م)، إلى أن السلطان يعود في نسبه إلى بني أمية[183]، ولعله فعل ذلك للمحافظة على علاقته مع أفراد البيت الأيوبي وتقوية هذه العلاقة.

ويبرز في كتاباته دور الفئات التي شاركت في الجهاد ضد الصليبيين ومن تحالف معهم، فيسلط الضوء على دور التركمان في مواجهة الصليبيين[184]، ودور الأرمن في الوقوف إلى جانب الصليبيين[185]، واهتم في نقل أشعار الحروب الصليبية[186]، ولم يغفل ذكر المراسلات السياسية التي دارت بين المسلمين والصليبيين[187]، والتعايش بين الطرفين[188]، ولم يهمل الإشارة إلى أنواع الأسلحة المستخدمة في الحروب[189]؛ فيذكر المجانيق وبناء الأبراج والسهام والطوارق والكبش وغيرها من الأدوات الحربية. وأشار إلى المواد الأولية التي كانت تستخدم في الحرب واستخرجت من باطن الأرض كالنفط والقطران، وبين أثرها في الحروب كمواد مشتعلة استخدمها المسلمون لحرق الأدوات الحربية التي تبنى من الأخشاب كالأبراج والسلالم[190].

وذكر الكتب الرسمية التي أرسلت عقب استرداد المسلمين بيت المقدس بعد معركة حطين عام 583هـ/ 1187م إلى دار الخلافة في بغداد، حيث بعث العماد الأصفهاني (ت597هـ/ 1201م) كتاباً يقول: " . . . . الحمد لله على إنجاز الوعد وعلى نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد، وجعل من بعد عسر يسراً، وأحدث من بعد أمر أمراً، وهون هذا الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبراً" ، . . . "والحق ببهجته قد استنار، والكفر قد رد ماعنده من الشعار والخادم يشرح من هذا الفتح العظيم. والنصر الكريم، ما يشرح صدور المؤمنين، ويسود وجوه الكافرين. . . "[191].

أما عن صورة الصليبيين في كتاباته، فقد أشار إلى الملك ريتشارد قلب الأسد ملك الانجليز باسم الإنكلتار[192]،وقد أورده 29 مرة، وهذا مصطلح استخدمه معظم المؤرخين المسلمين المعاصرين لفترة الحروب الصليبية، كما وصف إرناط صاحب الكرك بأنه أخبث الصليبيين لما عرف عنه من غدر

وخداع[193]، ولم يتوان في ذكر صفات أعدائه الحسنة والإشادة بهم، فقد وصف الإنكلتار بأنه ملك عظيم[194]، ووصف فرسان الصليبيين بالشجعان والأبطال في أثناء حديثه عن نزول الصليبيين إلى الغور في عام 506هـ/ 1110 م[195].

ويعتمد في نقل بعض الأحداث على الروايات الشفوية، فقد ذكر أنه سمع من المعظم عيسى، حيث قال: "حكى لي المعظم"[196]، كما سمع أيضاً من جماعات، حيث قال: "وحكى لي جماعة من الدماشقة"[197]. وكان يعتمد كذلك على الرواية الشفوية المتداولة بين الناس عن أفعال الصليبيين في الفترة نفسها، كقوله: "فحكي أنهم قتلوا في الحرم"[198]. ويحدد أساتذته عند اقتباسه منهم، وإن لم يتعلم على أيديهم فيشير إلى ابن الأثير، ويعتبره أستاذه[199].

وقد وجد في طيات كتابه بعض الروايات الصوفية[200] والاقتباس من القرآن الشريف[201]، ويذكر عبارة "والله سبحانه أعلم" في حال شكه في نقل المعلومات[202]، بالإضافة إلى استنباط بعض الروايات[203]، وذكر اجتهاد المسلمين في ذكر أعداد القوات الصليبية في أثناء توجه الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق[204].

ويبدو ضعفه في ذكر بعض الأحداث التاريخية المهمة في فترة الحروب الصليبية، فقد تجاهل ذكر أحداث عام 539هـ/ 1144م فيما يخص استرجاع المسلمين لمدينة الرها الصليبية أولى إماراتهم التي أسسوها في أثناء حملتهم الأولى[205]. وشارك السبط المؤرخين المسلمين في تقديم معلومات عن تحالف بعض قادة المسلمين مع الصليبيين ضد أطراف أخرى للقوة الإسلامية، فتحالف الأمير مجير الدين إنر صاحب دمشق مع الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس لمنع نور الدين بن زنكي من الاستيلاء على دمشق[206]، والكشف عن الخلافات السياسية بين أفراد البيت الأيوبي[207].

وعلى الرغم من اعتماد سبط ابن الجوزي على ابن القلانسي في نقل بعض الأحداث، فإنه يختلف معه في نقل بعض التفاصيل[208]، كما أنه لجأ أحياناً إلى المقارنة بين ما جاء عند المؤرخين من أحداث[209].

تناول في القسم الثاني من كتابه أخبار البيت الأيوبي بشكل واسع[210]، وركز على ترجمة سيرة حياة جده والإشارة إلى علاقته بالخلفاء العباسيين وذكر مصنفاته[211]، في حين تطرق إلى ذكر شيء يسير من سيرته الذاتية؛ فقد أشار إلى زواج والديه وتاريخ ولادته وبعض مجالس علمه[212].

ويلاحظ عند سبط ابن الجوزي أنه يتقدم في ذكر بعض الأحداث التاريخية عن باقي المصادر التي اعتمد عليها بسنة، فقد ذكر أحداث مهاجمة طغتكين أمير دمشق للصليبيين في أراضي طبريا وكسرهم وأسر ابن أخت الملك بلدوين البولوني ملك مملكة بيت المقدس عام 501هـ/ 1107م، بينما يذكرابن الأثير أحداثها عام 502هـ/ 1108م[213]، كذلك وقع في بعض الأخطاء؛ فقد قدم ترجمة لحياة سكمان القطبي على أنه سكمان بن أرتق[214].

ويبدو أن سبط ابن الجوزي كان يعتمد أحياناً على مصادر غير دقيقة في معلوماته عن الصليبيين، ولعل هذا ما أوقعه في بعض الأخطاء وذلك عندما نسب تبعية مدينة أنطاكية وحكمها[215] إلى ريموند دي صنجيل صاحب طرابلس علماً بأن أنطاكية كانت تتبع آنذاك إلى بوهيمند وابن أخته تنكريد[216].

وعند ذكره أحداث عام 504هـ/ 1115م عن مدينة عسقلان[217] ينسب وقوع أحداثها إلى مدينة صور، وبالمقارنة مع المصادر التي اعتمد عليها[218]، فإن ما ورد عنده من أحداث في عسقلان صحيحة، ولكن أشار إلى وقوعها في مدينة صور.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سبط ابن الجوزي كان معاصراً وشاهد عيان لبعض الوقائع التي تخص الحروب الصليبية وشارك فيها، فقد قاد الحملة العسكرية التي توجهت إلى نابلس للانضمام إلى الملك المعظم عيسى من أجل مواجهة الصليبيين، ويشير إلى ذلك بقوله: "خرجت من دمشق إلى نابلس إلى الغزاة، وكان الملك المعظم عيسى – رحمه الله – بها"[219].

ولم يتوان عن ذكر المواقف السلبية لبعض أمراء المسلمين ممن كانوا يفضلون التعامل مع الصليبيين والمتاجرة معهم، أو عقد اتفاقيات تعاون مقابل

دفع مبالغ من الأموال عن التعامل مع المسلمين؛ وذلك تجنباً لشر الصليبيين، فيذكر قول بعض أمراء المسلمين ممن فضلوا التعامل مع الصليبيين على التعامل مع المسلمين، حيث قال: "أرغب في التجارة من الحرب"[220].

وقد أشار إلى الاتفاقيات التي كانت تفرض على المسلمين من قبل الصليبيين، حيث كانوا يفرضون على المسلمين أموالاً مقطوعة سنوياً تحمل إليهم حينما يستولون على قلعة أو مدينة من المسلمين، فقد قرر الملك بلدوين الأول على أهالي مدينة صور مبلغ سبعة آلاف دينار عام 504هـ/ 1110م[221].

وقد ركز سبط ابن الجوزي في كتاباته على المعاهدات التي كانت تعقد بين المسلمين والصليبيين دون أن يتعرض إلى تفاصيلها، وأشار إلى جباية الأموال والأراضي الزراعية والمحاصيل الزراعية وخراجها، وطريقة مقاسمتها بين الطرفين؛ فقد أشار إلى معاهدة الملك بلدوين الأول والأمير طغتكين أمير دمشق، حيث قال: "يكون السواد (غور الأردن) وجبل عوف (عجلون) أثلاثاً للإفرنج والباقي للمسلمين"[222]. ويشير في موقع آخر إلى استقرار الأمر بين الصليبيين والمسلمين على أن يكون من البلاد مثالثة ومناصفة[223].

وتحدث عن المراسلات بين الصليبيين والمسلمين التي كانت تنتهي إلى الموادعة وعقد الاتفاقيات وإبرام المعاهدات، وغالباً ما كان مضمونها الموادعة في مقاسمة الغلات وخراج الأراضي وإيقاف الحرب، وعدم الاعتداء على بعض الأماكن، فيذكر: "وترددت بينهم مراسلات أفضت إلى تقرير من الموادعة على أن يكون للإفرنج ثلث مغل. . . . "[224].

ولم يتوان عن ذكر الحقيقة حتى ولو كانت تلقي باللوم على شخصيات ذات مكانة اجتماعية وعسكرية بارزة في التاريخ عند المسلمين، فقد أورد نصاً حمّل فيه صلاح الدين الأيوبي مسؤولية تهاونه مع الصليبيين في مدينة القدس، وانتقده لعدم نفاذ بصيرته للمستقبل عندما سمح لهم بالخروج من القدس إلى مدينة صور، فأشار فيه: "لم ينظر في عواقب الأمور فإن اجتماعهم بصور كان سبباً لأخذ البلاد"[225].

ويبدو أن سبط ابن الجوزي كان قد اطلع على بعض الكتب والمخاطبات التي كانت تجري بين الحكام، فأوردها ولكنه أوجز في ذكرها ويبرر إيجازه في نهاية الاقتباس بعبارة "إنه كتاب طويل"[226]. مع أنه لا يلجأ إلى ذكر مصادر حصوله على هذه الكتب، والأغلب أنه اطلع عليها بحكم قربه من حكام الدولة الأيوبية والعيش تحت رعايتهم.

وعندما يورد خبراً تاريخياً يتناول فيه هزيمة المسلمين يحاول أن يخفف وطأة أثر هذه الهزيمة على القارئ بجبرها بانتصار آخر، يشير إليه في غير موضعه في أثناء سرده للأحداث؛ فيقول عند حديثه عن بعض الهزائم التي مني بها المسلمون "فلم يجبره إلا وقعة حطين"[227].

وعندما تدفعه الحاجة للتطرق لبعض الأحداث المتأخرة عن الفترة التي يتحدث عنها في غير موقعها في أثناء سرده لبعض الأحداث التاريخية المبكرة، فإنه ينوه إلى الحديث عنها في موقعها، كأن يقول "فعاد الإفرنج إلى الساحل في سنة 564هـ/ 1168م، وسنذكره"[228].

ولجأ أحياناً إلى ذكر روايتين للخبر التاريخي الواحد، ولكنه يذكر كلاً منهما على حدة في سنة حدوثها، فعند سرده لأحداث عام 511هـ/ 1114م يشير إلى وفاة بلدوين ملك بيت المقدس، وعند سرده لأحداث عام 513هـ/ 1118م يذكر رواية ثانية في أحداثها عن وفاة بلدوين ويحدد مصدره[229].

ويبدو اهتمامه واضحاً في تحديد المسافات بين الأماكن والمكاييل ويستخدم المصطلحات السائدة بين سكان المنطقة للدلالة على أثر وحدات القياس والمكاييل آنذاك، فقد استخدم الفرسخ والميل والرطل[230].

ويستخدم أكثر من رسم للاسم الصليبي الواحد، فقد ذكر برديول تسع مرات، وبغدوين ستاً وعشرين مرة، ويقصد بهما بلدوين[231] ولكنه لم يفرق بين الأسماء مثل بلدوين البولوني وبلدوين دي بورغ مع أنهما حكما إمارة الرها الصليبية وبيت المقدس على التوالي، فيشير إلى الاثنين باسم بغدوين أو برديول، والقارئ في كتابه "مرآة الزمان" لا يستطيع أن يحدد الشخص المقصود

منهما إلا بعد الرجوع للمصادر الأجنبية، وتحديد الفترة الزمنية التي حكم بها كل منهما، وينطبق ذلك على جوسلين الأول وجوسلين الثاني في حكمهما للرها[232].

وكان سبط ابن الجوزي يشير إلى أفعال الصليبيين عندما يغزون الأراضي الإسلامية، فيذكر أنهم كانوا يلجؤون إلى قطع الأشجار أسلوباً لحرمان السكان من ثمارها وإجبارهم على الاستسلام، كما فعل البرنس (أرناط) مع سكان الكرك والشوبك عام 583هـ/ 1187م[233]. ولم يتوان في التطرق إلى الأمراض التي سادت عصره وتأثيرها على العامة[234].

وقد اهتم سبط ابن الجوزي في كتاباته من حين لآخر بذكر الجوانب الاجتماعية، فقد أشار إلى طرق الاتصال بين قلاع المسلمين وحصونهم؛ حيث تحدث عن (الحمام الهوادي[235])[236]، وأشار إلى المدارس والزوايا والربط والحمامات[237]، بالإضافة إلى ذكر أنواع الأطعمة السائدة آنذاك[238]، وتحدث عن الظواهر الطبيعية[239]، وتأثيرها على الحياة السياسية[240]، وأشار إلى مظاهر الحياة اليومية لأهالي البلاد الإسلامية في أثناء حدوث المجاعات كما حصل في مصر[241].

لقد اعتمد سبط ابن الجوزي على مجموعة من المصادر في تأريخه للحروب الصليبية، وكان معاصراً لقسم من مؤلفيها؛ فقد سمع منهم مباشرة في بعض الأحداث، واعتمد في بعضها على تواريخهم، ويتضح من المعلومات التي أوردها في كتابه "مرآة الزمان" عن أخبار الصليبيين أنه كان يعتمد فيها على المصادر المعاصرة والروايات الشفوية للأحداث. ولم ينفرد سبط ابن الجوزي بذكر معلومات عن أحداث عاصرها عن غيره من المصادر المعاصرة له، سواء ما ذكره عن مكانته التي ارتقى إليها عند الملك الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى أبناء الملك العادل، ودوره الوسيط والمصلح والسفير فيما بينهم لإزالة خلافاتهم وحثهم على توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي المحدق بالديار الإسلامية[242].

ويأتي في مقدمة المؤرخين المعاصرين الذين اعتمد عليهم سبط ابن

الجوزي، المؤرخ **ابن القلانسي**[243] الذي دون تاريخ الصليبيين في كتابه "**ذيل تاريخ دمشق**"، تناول فيه أحداث فترة الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية، وكان معاصراً، وشاهد عيان لبعض أحداثهما، فقد اعتمد عليه سبط ابن الجوزي في جل معلومات هذه الفترة، فأخذ دور الموصل وديار بكر في تولي حركة الجهاد الإسلامي ممثلة بالأمير إقسنقر البرسقي والأمير إيلغازي الأرتقي[244]. ومهاجمة الصليبيين أراضي المسلمين والاستيلاء عليها، واتخاذهم بعض قلاع بلاد الشام حصوناً لهم، وشحنها بالرجال والعتاد، وأبرز دور حكام دمشق في مواجهة الصليبيين عام 509هـ/ 1115م[245].

واعتمد عليه في مواجهة الأمير إقسنقر البرسقي ريموند دي صنجيل (Raymond de St Giels) أمير طرابس في أحداث عام 510هـ/ 1116م[246]. وأورد عنه تاريخ وفاة الملك بلدوين الأول عام 513هـ/ 1118م وهجمات الملك بلدوين الثاني على أطراف الشام[247]، ومعركة ساحة الدم التي راح ضحيتها روجر أمير أنطاكية في العام نفسه أمام تحالف قوات دمشق والأراتقة[248]. كما اعتمد على ابن القلانسي في ذكر مهاجمة الصليبيين أراضي حلب والمناطق المحيطة بها عام 518هـ/ 1123م[249]. ومحاربة أهل دمشق للصليبيين في حوران عام 544هـ/ 1149م[250].

وعندما يذكر سبط ابن الجوزي أخباراً عن أحداث خارج بلاد الشام في الرواية التي يأخذها عن ابن القلانسي ولها علاقة ببلاد الشام، ويعتمد فيها على غير ابن القلانسي، فإنه ينوه للقارئ، قائلاً: "وذكر غير ابن القلانسي"[251] وعندما يذكر معلومات عن ابن القلانسي خارج نطاق بلاد الشام ولها علاقة بالصليبيين يؤكدها من تواريخ أخرى، فيقول: "أما تواريخ أهل الشام وأبو يعلى القلانسي"[252]. وقوله: "فذكر غير ابن القلانسي من أهل الشام"[253]، وهذا يؤكد دقته في نقل المعلومات ونسبتها لأصحابها وإن لم يحددهم بالاسم.

واعتمد سبط ابن الجوزي على **ابن الأثير** (ت630هـ/ 1233م)[254] الذي كان مطلعاً على كثير من الوثائق الرسمية بحكم صلة أسرته الوثيقة بالإدارة في الموصل، بالإضافة إلى مكانتها العلمية المتميزة؛ فقد استطاع ابن الأثير أن يبني

علاقة وطيدة مع أفراد البيتين الزنكي والأيوبي، وكان معاصراً لبعض أحداث الحروب الصليبية، فقد امتازت كتاباته بالشمولية.

وقد اعتبره سبط ابن الجوزي أستاذه مع أنه لم يتعلم على يديه[255]، واعتمد السبط رواياته التي ذكرها على الملأ، بقوله: "حكى ابن الأثير. . . . "[256] كما اعتمد على ابن الأثير على الرغم من ميول الأخير للأسرة الزنكية وانتقاده أعمال صلاح الدين الأيوبي، فيشير إلى حشد نور الدين محمود بن زنكي لقوات الموصل والجزيرة وديار بكر وتركها في بلاد الشام لمقاتلة الصليبيين وبنيته الخروج إلى مصر لما شهده من فتور صلاح الدين الأيوبي في غزو الصليبيين، حيث كان نور الدين يرى أنه لابد من خلاص القدس من أيديهم واجتثاث أصولهم من ساحل بلاد الشام، إلا أن المنية وافته بدمشق، وهو على هذه النية[257].

وقد اعتمده سبط ابن الجوزي في معلوماته عن غزو الصليبيين أراضي مصر، ومحاولات نور الدين محمود بن زنكي الاستيلاء على مصر من خلال قائديه صلاح الدين وعمه شيركوه[258]. وتنافس قادة نورالدين بعد وفاته؛ الأمر الذي أضعف الجبهة الإسلامية أمام الصليبيين وطمعهم في أراضي المسلمين[259].

أما **القاضي الفاضل** (ت596هـ/ 1200م)[260] فقد امتاز بقربه من صلاح الدين الأيوبي واكتساب ثقته، وكان صلاح الدين يقول في ملأ من الناس: "لا تظنوا ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل"[261]، وكان يستشيره في أمور كثيرة، فعمل له كاتباً ووزيراً[262]؛ الأمر الذي جعل معلوماته ورسائله محطة لسبط ابن الجوزي في التأريخ للحروب الصليبية، فقد اعتمده السبط في معلوماته عن سيرة صلاح الدين وجهاد الصليبيين وتوحيد الجبهة الإسلامية بعد وفاة نور الدين محمود[263].

ويبدو أن السبط قد اطلع على مراسلات القاضي الفاضل؛ فقد ضمن كتابه "مرآة الزمان" العديد من الكتب التي أرسلت إلى بغداد بخط القاضي الفاضل تحمل بشائر نصر صلاح الدين على الصليبيين[264]. وأخذ السبط عنه خطبة

السلطان صلاح الدين التي خطبها عقب استرداد بيت المقدس والمناطق المحيطة بها[265].

وعلى الرغم من العلاقة المتينة بين القاضي الفاضل وصلاح الدين فإن سبط ابن الجوزي أخذ نصاً عن القاضي الفاضل حمل فيه المسؤولية لصلاح الدين بضياع الديار الإسلامية وذلك بإخراج الصليبيين إلى مدينة صور، فيذكر قائلا: " لقد ضيع السلطان الحرم بتسيير الإفرنج إلى صور، ولم ينظر في عواقب الأمور فإن اجتماعهم بصور كان سبباً لأخذ البلاد "[266].

وكان **العماد الأصفهاني** (ت597هـ/ 1201م)[267] في كتابه البرق الشامي من مصادر سبط ابن الجوزي، وقد شغل العماد العديد من الأعمال لدى نور الدين محمود بن زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، حيث صار رئيساً للكتاب بالشام، وقد سمح له صلاح الدين بالاطلاع على الكتب الرسمية في خزائن مصر. ولعل هذا أعطى كتابات العماد الأصفهاني أولوية عند سبط ابن الجوزي؛ فقد سمع منه مباشرة عن الأوضاع السيئة التي سادت بلاد الشام ومصر من ارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش ووقوف حال المسلمين وانتشار المجاعات وتوقف حال التجار ومراكب الصليبيين[268].

وأورد السبط نص الكتاب الذي كتبه العماد الأصفهاني إلى بغداد بخط يده يتضمن بشائر النصر باسترجاع القدس، وذلك بناء على طلب صلاح الدين[269].

وذكر سبط ابن الجوزي رواية واحدة عن جده ابن الجوزي في كتاب المنتظم، تتعلق بتأريخ الحروب الصليبية عن سياسة نور الدين محمود بن زنكي مع الصليبيين وأسر جوسلين الثاني أمير الرها، وأشار إلى شروط المعاهدات التي عقدت بين الطرفين[270].

يشير سبط ابن الجوزي إلى رواية وحيدة لابن شداد أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي قاضي حلب في تأريخه للحروب الصليبية، ويشيد بها، فقد وظفها من خلال عقد المقارنة بينها وبين رواية المؤرخ محمد ابن القادسي، التي سعى إلى إضعافها بالأدلة والشواهد، وأكد صحة الخبر التاريخي

عند ابن شداد، ونفى ما أشار إليه ابن القادسي من هزيمة صلاح الدين الأيوبي في معركة أرسوف عام 587هـ/ 1191م معتمداً على ما ذكره ابن شداد الذي كان شاهد عيان للمعركة، كما نفى أعداد القتلى التي أوردها ابن القادسي بالمقارنة مع عدد قوات الصليبيين التي كانت تحضر المعركة، كما أفاد ابن شداد، الذي كان في خضم المعركة ولذلك قال سبط ابن الجوزي "وليس المخبر كالمعاين" (271).

والواضح من خلال استعراض الأحداث التاريخية للحروب الصليبية عند سبط ابن الجوزي بعد عام 600هـ/ 1204م بأنه كان يعتمد فيها على شهود عيان حكوا له أحداثها بالإضافة إلى أنه كان معاصراً لأحداث الحملات الصليبية وشارك من خلال مجالسه في التحريض على الجهاد والإسهام في مقاومة الصليبيين، ولهذا جاء تاريخه لهذه الفترة مبنياً على مشاهداته ومعاصرته للأحداث.

الهوامش والمراجع

(1) قزاوغلي: لفظ تركي ينقسم إلى قسمين: (قزا) وتعني ابن (وغلي) وتعني البنت؛ أي ابن البنت، النعيمي، عبد القادر محمد الدمشقي (ت927هـ/ 1520م): **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسني، د.ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 1988م، ج1، ص478. وذكر باسم (قزاغلي)عند الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م): **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، د.ط، لبنان: دار الكتب العلمية، 1985م، ج3، ص274.

(2) الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت945هـ/ 1538م): **طبقات المفسرين**، راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر، د.ط، لبنان: دار الكتب العلمية، 2002م، ج2، ص 383.

(3) العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ/ 1450م): **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد محمد أمين، ج1، د.ط، مصر: النهضة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص132.

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت774هـ/ 1373م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط1، القاهرة: دار الفجر للتراث، 2003م، ج13، ص201.

(5) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م، مج1، ص471.

(6) اليافعي، عبدالله الحموي (ت749هـ/ 1349م): **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، د.ط، الهند: دار المعارف النظامية، حيدر أباد، 1918، ج4، ص105.

(7) العبر في خبر من عبر، مج1، ص471.

(8) الحنبلي، العماد أبو الفرج عبد الحي بن محمد (ت1089هـ/ 1679م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1991م، ج5، ص267.

(9) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج4، ص105.

(10) نسبة إلى مولى أبيه عون الدين الهبيري، وهو يحيى بن محمد أبو المظفر. كان وزيراً للخليفة العباسي المقتفي، توفي عام (560هـ/ 1164م)؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (597هـ/ 1202م): **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عطا ومصطفى عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م، ج18، ص166.

(11) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، توفي عام 597هـ/ 1202م، أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ/ 1266م): **تراجم رجال القرنين السادس والسابع**، ط2، بيروت: دار الجيل، 1974م، ص25-27.

(12) تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص27؛ انظر مكانة سبط ابن الجوزي عند الخليفة المستضيء بأمر الله (ت575هـ/ 1179م)، وابنه الخليفة الناصر (ت622هـ/ 1224م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص22؛ السيوطي، جلال الدين (ت911هـ/ 1505م): **تاريخ الخلفاء**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م، ص361.

(13) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج4، ص105.

(14) العبر في خبر من عبر، ج3، ص274.

(15) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، ص132.

(16) طبقات المفسرين، ج2، ص313.

(17) **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: رمضان عبد التواب، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1983م، ج6، ص141.

(18) ظهير الدين ابن العطار، أبو بكر منصور بن نصر (ت574هـ/ 1178م)، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/ 1256م): **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، د.ط، الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن: 1952م، ج8، ق1، ص358-359.

(19) انظر مرآة الزمان، ج8، ق1، ص348-349.

(20) أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بأبي البطي، سمع من مالك بن علي البانياسي، وحمد ابن أحمد الحداد، كان عالماً بعلوم الحديث، توفي عام (564هـ/ 1168م)، المنتظم، ص185؛ مرآة الزمان، ق2، ص502.

(21) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج18، ص230.

(22) الخليفة المستضيء أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، عرف عنه العدل فرد المظالم، ونادى برفع الضرائب، توفي عام (576هـ/ 1180م)، الكتبي، محمد شاكر (764هـ/ 1326م): **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1973م، مج4، ص302.

(23) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص332.

(24) بتفشا ابنة عبدالله، عمرت كثيراً من المساجد والجسور في بغداد، وحظي العلماء عندها بمنزلة عالية، توفيت عام (598هـ/ 1203م)؛ أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص29.

(25) المنتظم، ج18، ص230. مرآة الزمان، ج8، ق1، ص332.

(26) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص332.

(27) المنتظم، ج18، ص230.

(28) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص332.

(29) البداية، ج13، ص210.

(30) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص482.

(31) فوات الوفيات، مج4، ص356.

(32) المدارس، ج1، ص478.

(33) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص439-440.

(34) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص459.

(35) البداية، ج13، ص31-33.

(36) عقد الجمان، ج1، ص133.

(37) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص412-413؛ تراجم، ص219.

(38) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/ 1441م): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1972م، ج1، ق1، ص299-302.

(39) السلامي، أبو المعالي محمد بن رافع (ت774هـ/ 1372م): "تاريخ علماء بغداد" المسمى "منتخب المختار" تصحيح: عباس العزاوي، ط2، بيروت: الدار العربية للموسوعات 2000م، ص190-191.

(40) تاريخ الخلفاء، ص217.

(41) تاريخ الخلفاء، ج218؛ البداية، ج1، ص173-177.

(42) ياقوت، ابن عبدالله الحموي: **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1979م، ج1، ص461-462.

(43) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص481-489.

(44) أبو القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش، برع في الحديث وكان ثقة سمع من أبي العز بن كادش، وابن الطيوري، توفي عام (593هـ/ 1198م)، تراجم، ص13؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/ 1469م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، د.ط، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، 1963م، ج6، ص143.

(45) هبة الله بن الحسن بن المظفر أبو القاسم الهمذاني، سمع أبو القاسم ابن الحصين، وابن السمرقندي، ويرجع نسبه إلى همذان، توفي عام (598هـ/ 1203م)، تراجم، ص30.

(46) أحمد بن سليمان بن أحمد أبو العباس، الملقب بالسكر الحربي، قرأ القرآن بالروايات وجمع الأحاديث، توفي عام (601هـ/ 1205م)؛ العبر، ج3، ص131.

(47) عبد المجيد بن أبي القاسم عبدالله بن زهير، أبو محمد الحراني، وكان رسول الخليفة الناصر لدين الله (622هـ/ 1226م)، والملك العادل (615هـ/ 1219م)، توفي عام (604هـ/ 1208م)، تراجم، ص63؛ تاريخ الخلفاء، ص359-361.

(48) عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي، وكان عالي الإسناد في رواية الحديث، حدث في إربل والموصل وحران ودمشق، توفي عام (607هـ/ 1211م)؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج2، ص215-216؛ البداية، ج13، ص75.

(49) انظر المصادر التالية: مرآة الزمان، ج8، ق2، ص538، 455؛ العبر، ج3، ص 131؛ البداية، ج13، ص65.

(50) محمود بن عثمان بن مكارم أبو الثناء الحنبلي، كان له رباط عند باب الأزج في بغداد يأوي إليه أهل العلم وكان يحسن إليهم، سمع ابن البطي، توفي عام (609هـ/ 1221م)، ابن كثير، البداية، ج13، ص69؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص207.

(51) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص562.

(52) المبارك بن المبارك بن الدهان، لقب بالوجيه، حفظ القرآن، قرأ القراءات، سمع ببغداد من أبي زرعة والكمال عبدالرحمن الأنباري، توفي عام (614هـ/ 1218م)؛ وفيان الأعيان، ج2، ص307.؛ العبر، ج3، ص158.

(53) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص573.

(54) عمر بن محمد بن عبدالله أبو حفص شهاب الدين، شيخ الشيوخ في بغداد، صحب عمه أبا النحيب السهرودي وأخذ عنه الوعظ، وكذلك سمع أبا محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي، وله كتاب عرف باسم " عوارف المعارف" توفي عام (632هـ/ 1245م)؛ وفيات، ج2، ص212

(55) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص679؛ وفيات، ج2، ص212.

(56) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص499.

(57) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص500.

(58) عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصقيلي، أبو محمد نجم الدين الحراني، تعلم الحديث والفقه، وكان واعظاً في بغداد وحران، صحب ابن طبرزد، توفي عام (601هـ/ 1205م)، النجوم الزاهرة، ج6، ص187.

(59) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص468.

(60) عقد الجمان، ج1، ص133.

(61) إربل: مدينة كبيرة واسعة من أعمال الموصل بينها وبين بغداد مسيرة 7 أيام للقوافل ومعظم سكانها من الأكراد الذين استعربوا، معجم البلدان، ج1، ص138.

(62) حران: بلدة من ديار مضر تقع على طريق الموصل والشام، البكري، أبو عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/ 1093م): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، د.ت، ج1، ص435؛ معجم البلدان، ج2، ص236.

(63) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد الحراني، الخطيب المفسر، صنف مختصر في مذهب أحمد بن حنبل وكان شيخاً في التفسير والوعظ، توفي عام (622هـ/ 1226م)، العبر، ج3، ص189.

(64) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص516-517.

(65) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص517.

(66) زيد بن الحسن بن زيد تاج الدين الكندي، شيخ القراء والنحاة في الشام، توفي عام (613هـ/ 1217م)، وفيات الأعيان، ج1، ص352-353؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جرادة (660هـ/ 1261م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، 1988م، ج5، ص485؛ الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت774هـ/ 1373م): **الوافي بالوفيات**، ط2، فيسبادن: دار فرانزشتاير، 1991م، م4، ص456.

(67) فوات الوفيات، م4، ص456.

(68) البداية، ج13، ص201؛ انظر مرآة الزمان، ج8، ق2، ص529-530.

(69) تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن علي، شيخ الشيوخ، صنف في التاريخ، سمع الحديث وحفظ القرآن، واتصل بملوك المغرب، توفي عام (642هـ/ 1244م)، ابن كثير، البداية، ج13، ص 172؛ النجوم الزاهرة، ج6، ص350.

(70) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص748-749.

(71) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص517-518.

(72) نعمة بنت علي بن محمد بن يحيى الطراح، كانت راوية للحديث، سمعت من أبي شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي وعن جدها أبي محمد بن يحيى الطراح، توفيت عام (604هـ / 1208م)، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص539؛ تراجم، ص63؛ العبر، ج3، ص115.

(73) زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب الأزجي، وكيل القضاة، يرجع نسبه إلى أزج بلدة شرقي بغداد، روى الحديث، سمع من أبي الكرم الشهرزوري، توفي عام (616هـ/ 1220م)، العبر، ج3، ص169؛ شذرات، ج5، ص66.

(74) أبو القاسم ابن صصري شمس الدين ابن الحسين بن هبة الله التغلبي، من الشام، روى الحديث، وكان من أصحاب الحديث، سمع من جده وجده لأمه؛ عبد الواحد بن هلال، وأجاز له علي الصباغ، توفي عام (626هـ/ 1230م)، العبر، ج3، ص272؛ النجوم الزاهرة، ج6، ص272.

(75) موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة، أحد الأئمة الأعلام، له الكثير من المصنفات، هاجر إلى دمشق، توفي عام (620هـ/ 1224م)، العبر، ج3، ص169.

(76) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص517، 539، 627–628، تراجم، ص119.

(77) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص546.

(78) محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، حفظ القرآن والحديث والفقه، هاجر إلى دمشق بعد استيلاء الإفرنج على الأراضي المقدسة، العبر، ج3، ص147؛ النجوم، ج6، ص256.

(79) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص592.

(80) جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني، قاضي القضاة بدمشق كان أبوه من أهل حرستان من مدن الشام، درس في المدرسة العزيزية، توفي عام (614هـ/ 1218م)، تراجم، ص106؛ البداية، ج13، ص82–83.

(81) الجامع الصغير: كتاب صنفه محمد بن الحسن الحنفي (ت189هـ/ 790م)، بالري وجمع فيه الأحاديث؛ كما صنف إسماعيل بن يحيى المزني (ت264هـ/ 1228م)، في مصر كتاباً عرف باسم الجامع الصغير، وفيات الأعيان، ج1، ص117–118، ج2، ص221–222.

(82) شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بابن الموصلي، كان راوياً الحديث وله إجازة، وكان مطلعاً على مذهب أبي حنيفة، توفي عام (629هـ/ 1233م)، تراجم، ص161.

(83) جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصيري، شيخ الحنفية بدمشق أصله من حصير من أعمال بخارى، سمع الحديث والفقه وكان مطلعاً على التاريخ، درس بالمدرسة النورية، توفي عام (636هـ/ 1240م)، البداية، ج13، ص159.

(84) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص720–721.

(85) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (630هـ/ 1234م): **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م، ص170.

(86) ابن شداد، عز الدين إبراهيم بن محمد (ت684هـ/ 1285م): **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: سامي الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1963، ج2، ص208.

(87) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد(ت911هـ/ 1505م): **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج1، ص303.

(88) الروضتين، ج2، ص219.

(89) عقد الجمان، ج1، ص133.

(90) المدرسة العزيزية البرانية: بناها عز الدين أيبك الحموي (ت446هـ/ 1053م)، وفيات الأعيان، ج2، ص236.

(91) وفيات الأعيان، ج2، ص236؛ الدارس، ج1، ص551.

(92) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص639.

(93) المدرسة الشبلية: بناها شبل الدولة حسام الدين لاجين (ت587هـ/ 1161م)، أول من درس بها الشيخ صفي الدين السنجاري، الأعلاق، ج2، ص227؛ المدارس، ج1، ص532.

(94) عقد الجمان، ج1، ص134.

(95) ومنه:

وكيف تنام العين ملء جفونها — على هفوات أيقظت كل نائمِ
يسومهم الروم الهواة وأنتم — تجرّون ذيل الخفض فعل المسالمِ

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء المنشور في Recuil des Historiens des Croisade,Historiens Orientaux, Publie Par Les Soins do L'academie des Inscriptionset bells letters, paris,VoL,3,P.520.

(96) محمد بن أحمد بن محمد أبو المظفر الإيبوردي (ت507هـ/ 1113م)، عالم في اللغة والنسب، صنف "تاريخ إيبورد" و"المختلف والمؤتلف في أنساب العرب"، المنتظم، ج17، ص135.

(97) المدرسة البدرية: بناها الأمير بدر الدين بلال بن حسن ابن الداية، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص597؛ الأعلاق، ج2، ص225.

(98) نجم الدين موسى بن محمد بن موسى الكناني أبو الفضائل السقراوي، كان فقيهاً، برع في اللغة العربية، يشير ابن خلكان إلى أن اسم عائلته القمراوي وليس السقراوي، وذلك نسبة إلى ضيعة قمراء من ضياع صرخد بالشام، توفي عام (651هـ/ 1252م)، وفيات الأعيان، ج2، ص158-159.

(99) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء، درس الحديث واهتم بعلومه، توفي عام (726هـ/ 1316م)، الصفدي، الوافي، ج2، ص147.

(100) يشير السلامي (ت774هـ/ 1374م)، إلى تلاميذ سبط ابن الجوزي، فيقول: " سمع منه أبو بكر بن عباس السائب، وعبد الحافظ بن بدران...، وشرف الدين عبدالله بن الحسن بن عبدالله"، تاريخ علماء، ص190.

(101) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص المعروف " تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة "

تقديم: محمد صادق، بحر العلوم، د.ط، النجف: منشورات المطبعة الحيدرية، 1964م، ص226، 328.

(102) سبط ابن الجوزي، إيثار الإنصاف في آثار الخلاف، تحقيق: ناصر العلي الخليقي، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، 1987م، ص5.

(103) أبو شامة، تراجم، ص63. الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، تولى الحكم في خلاط وحران، والرها، توفي عام (635هـ/ 1239م)، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص711؛ تراجم، ص63.

(104) صنف كتاب "الجليس الصالح" وقصد فيه الملك الأشرف، ومن كتبه "الأحاديث المستعصمية"، "والانتصار لإمام أئمة الأمصار" و"شرح البداية" وغيرها، الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط8، ج8، ص246؛ سبط ابن الجوزي، إيثار الإنصاف، ص9؛ تاريخ علماء بغداد، ص468.

(105) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص468.

(106) مرآة الجنان، ج4، ص105.

(107) الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، صاحب دمشق، امتدت مملكته من حمص إلى العريش في مصر، دخل في ذلك بلاد السواحل الإسلامية والغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك، كان متعصباً للمذهب الحنفي وهو أول ملك أيوبي يتبع مذهب أبي حنيفة، توفي عام(624هـ/ 1228م)؛ وفيات الأعيان، ج2، ص235.

(108) مرآة الجنان، ج4، ص105؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت748هـ1374م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حوادث ووفيات (581-590هـ) تحقيق: عمر تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي. 1996م، ص185.

(109) شذرات، ج5، ص267.

(110) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/ 1455م)، **لسان الميزان**، ط1، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1971م، ج6، ص94.

(111) فوات، مج4، ص356.

(112) عقد الجمان، ج1، ص132.

(113) العبر، ج3، ص274.

(114) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: سعيد عاشور، د.ط، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ج25، ص213.

(115) الذهبي، شمس الدين محمد (ت748هـ/ 1347م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**،

حوادث (601–611) تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م، ص30.

(116) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص30.

(117) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص544–545.

(118) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص545؛ تراجم، ص69.

(119) تراجم، ص69.

(120) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، ط1، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، 1907م، ج3، ص122.

(121) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص560؛ أبو شامة، تراجم، ص80.

(122) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص570.

(123) تراجم، ص113؛ نهاية الأرب، ج25، ص215.

(124) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص647؛ تراجم، ص113.

(125) تراجم، ص115؛ السلوك، ج1، ق1، ص204.

(126) تراجم، ص115–116؛ انظر مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، المنسوب خطأ إلى روثلان، ترجمة وتعليق: أسامة زكي، ط2، طنطا: دار المصطفى للطباعة والكمبيوتر 2001، م، ص247؛ السلوك، ج1، ق1، ص240.

(127) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص601–602؛ تراجم، ص116.

(128) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص597.

(129) يقصد الحملة الصليبية الخامسة: تولى الملك جان دي برين السلطة في بيت المقدس عندما تزوج بالملكة إيزابيل ملكة بيت المقدس، وكان لهذه التطورات في بيت المقدس أثرها في إرسال حملة صليبية خامسة إلى المشرق، وقد دعا إليها البابا أنو سنت الثالث ومن ثم البابا هونوريوس الثالث بهدف تعويض الخسارة التي منيت بها الحملة الصليبية الرابعة بعد توجهها إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وقد وصلت مراكب الحملة إلى المشرق عام(615هـ/ 1218م)، بقيادة بلاجيوس مندوب البابا وكان نزولهم في مدينة عكا ومن ثم أبحروا إلى دمياط، انظر رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد باز العريني، لبنان: دار الثقافة، 1969، ج3، ص259–261؛ انظر تفاصيل الحملة الصليبية الخامسة Eracles, l'Estoire de Eracles Emperur et la Conquette de la Terre d'outremer, in Recuel Des Historiens des Croisades Historers Orientaux, paris,1859, Vol.II,p.335-348.؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت630هـ/ 1232م) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2003م، جـ10، ص377–380؛ ابن واصل، محمد بن سالم (ت697هـ/ 1297م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، ط1، مصر، 1953م، جـ 92، 4–94؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص26–28.

(130) النجوم الزاهرة، ج6، ص238– 239.

(131) السلوك، ج1، ص237؛ النجوم الزاهرة، ج6، ص238.

(132) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص604؛ تراجم، ص117.

(133) خلاط: بلدة مشهورة تقع في أرمينية الوسطى وهي قصبتها، البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/ 1338م): **مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: علي بن محمد البخاري، ط1، بيروت: دار الجيل، 1992م، مج1، ص476.

(134) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص619؛ تراجم، ص128.

(135) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص649؛ انظر بشأن استعادة دمياط Eracles, l'Estoire de Eracles, in R. H. C-H.Occ., Vol.II,p.348Ù352؛ الكامل، ج10، ص377–380؛ مفرج، ج92، 4–94؛ المختصر، ج2، ص26–28.

(136) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص649.

(137) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص579.

(138) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص574–575.

(139) تراجم، ص63. السلوك، ج1، ق1، ص269.

(140) فردريك الثاني إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ضغط عليه من قبل البابوية للقيام بحملة لاسترجاع الأراضي المقدسة، وقد تحايل على البابوية للتنصل من قيادة الحملة، وبحكم زواجه من بنت ملك بيت المقدس أصبح الحامي الشرعي لبيت المقدس، استنجد الكامل به إثر خلافه مع شقيقه المعظم، فوجد فردريك بهذه الدعوة فرصة للتحرر من ضغوط البابوية عليه، فسار بحملة إلى الشرق عرفت بالحملة السادسة عام (626هـ/ 1229م)، انظر رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص311–317.

(141) السلوك، ج1، ق1، ص272.

(142) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص654؛ المختصر، ج3، ص147.

(143) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص655.

(144) حيث قال سبط ابن الجوزي: "ولما أخذ الأشرف دمشق لزمت زاويتي، ولم أجتمع به حياءً منه لأنه كان قد أحسن إليَّ إحساناً كثيراً وتفضل عليَّ فضلاً غزيراً وجهزني إلى لحج" سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص701. بشأن استيلاء الأشرف على دمشق، انظر ابن نظيف الحموي، محمد بن علي (ت639هـ/ 1241م) التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، دمشق: مطبعة الحجاز، 1981، ص177.

(145) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص701.

(146) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص662.

(147) التاريخ المنصوري، ص176–177؛ السلوك، ج1، ق1، ص269.

(148) الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل، استلم حكم دمشق والكرك بعد وفاة أبيه المعظم، توفي عام (656هـ/ 1257م)، وفيات، ج2، ص235-236.

(149) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص690، ص746.

(150) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل، صاحب حصن كيفا، توفي عام (647هـ/ 1248م)، تراجم، ص183

(151) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص735.

(152) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص740.

(153) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص711.

(154) السامري أمين الدولة أبو الحسن غزال الطيب وزير الصالح إسماعيل، عرف عنه الاستهانة في أمور الدين، قتل على يد المماليك عندما وصل خبر إعدام الصالح إسماعيل بمصر، وكان مقتله عام (648هـ/ 1249م) البداية، ج13، ص187-188.

(155) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص792.

(156) مرآة الزمان،ج8، ق2، ص734- 735. أوصى الملك الأشرف بحكم دمشق بعد وفاته للصالح إسماعيل ابن العادل، فحكمها حتى عام (643هـ/ 1244م)، مفرج الكروب، ج5، ص348-350، المختصر، ج3، ص158.

(157) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص735.

(158) وقد تحدث عن وفاة السامري عام (648هـ/ 1249م)، فقال "فسبحانه من أراح منه المسلمين"، مرآة الزمان،ج8، ق2، ص784، 735.

(159) أبو العباس بن ثابت بن ما سيف المغربي اللواتي، كان فقيهاً، وبرع في الحديث، توفي عام (653هـ/ 1255م)، تراجم، ص189.

(160) القرافة: بلدة في مدينة الفسطاط في مصر، أصبحت مقبرة لأهالي مصر، معجم البلدان، مج4، ص317.

(161) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص 468.

(162) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، قام بتأليف الكثير من الكتب، وكان عالماً بالفقه والحديث، توفي عام (665هـ/ 1267م)، البداية، ج13، ص259.

(163) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص741-742.

(164) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص754، ص786.

(165) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص781. انظر الحملة الصليبية السابعة وتفاصيلها، جوانفيبل، جين، حياة القديس لويس، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، القاهرة: دار الفكر، 1999م، ج35، 50-219؛ تتمة مختصر وليم الصوري، 137-144.

(166) نهاية الأرب، ج25، ص213.

(167) الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الناصر صلاح الدين ابن أيوب، قتل عام (659هـ/ 1261م)، المختصر، ج3، ص211–212.

(168) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص793؛ تراجم، ص165.

(169) تراجم، ص165؛ السلوك، ج1، ق2، ص48.

(170) نهاية الأرب 1985، ، ج25، ص13.

(171) البداية، ج13، ص202.

(172) دولة المماليك: قامت دولة المماليك بعد مقتل توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل ابن العادل الأيوبي عام (648هـ/ 1250م)، قتل على أيدي المماليك، وبايعوا الأمير عز الدين أيبك التركماني ولقبوه بالملك المعز، المختصر، ج3، ص143–145؛ البداية، ج13، ص185–186.

(173) المختصر،ج3، ص143–145؛ البداية، ج13، ص185–186.

(174) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص392–410. بشأن الحملة الصليبية الثالثة، انظر ذيل تاريخ وليم الصوري، منشور في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق: دار الفكر، 1994م، ج8، ص396–426.

(175) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي، كان أديباً، شغل العديد من المناصب الإدارية في دمشق، توفي عام 555هـ/ 1160م. الذهبي، محمد بن أحمد (ت748هـ/ 1347م): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط9، بيروت: مؤسسة الرسالة 1413هـ، ج20، ص388.

(176) انظر ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت555هـ/ 1160م): **ذيل تاريخ دمشق**، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908، ص163–164، 211–212؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص55–56، 271.

(177) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص604. تراجم،ص117.

(178) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص237–301؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص220–221.

(179) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص39.

(180) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص69.

(181) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص178–180؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص27، 28.

(182) انظر تاريخ ابن القلانسي،ص 163؛ مرآة الزمان، ج8، ق1،ص27.

(183) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص425.؛

(184) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص162 وما بعدها؛ ، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص202.

(185) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص191.

(186) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص655.

(187) انظر ابن الاثير، الكامل، ج10، ص481، 379؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص418.

(188) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص614.

(189) انظر: الكامل، ج10، ص146، 375-376؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص260.

(190) انظر: الكامل، ج10، ص 375؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص 38؛ مفرج، ج2، ص334-337.

(191) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص395، بشأن كتب بشائر النصر بفتح القدس، انظر أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ/ 1266م): **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م، ج3، ص344-359.

(192) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص416.

(193) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص389؛ الروضتين، ج3، ص344-359؛ مفرج، ج2، ص185.

(194) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص408

(195) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص41.

(196) "حكى لي المعظم قال: كتب إلى (خوار زم شاه جلال)، يقول: أنت تحضر ومن عاهدني... حتى نقصد الخليفة"؛ مرآة الزمان، ج8، ق2، ص634.

(197) " حكى لي جماعة من الدماشقة أن العادل سيف الدين كتب لبعض خواصه كتاباً بالوصية في حكمة"؛ مرآة الزمان، ج8، ق2، ص590.

(198) مرآة الزمان، منشور في، R.H.C-H.Or.Vol.P.518.

(199) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص320.

(200) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص5، ص8.

(201) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص6.

(202) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص13.

(203) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص62.

(204) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص197. انظر تفاصيل الحملة الصليبية الثانية؛ تاريخ ابن القلانسي، ص298-300؛ وليم الصوري، ج760، 2-788؛ أودو أوف دويل: **رحلة لويس السابع إلى الشرق، منشور في الحروب الصليبية**، ترجمة: سهيل زكار، دمشق: مطبعة الملاح، 1984، ج1، ص365-397.

(205) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص184-185. انظر سقوط إمارة الرها الصليبية، تاريخ ابن القلانسي، ص 279-280؛ وليم الصوري، ج2، ص737-739؛ مؤلف سرياني رهاوي(زكار) ج2، ص503-507؛ ابن العديم زبدة، ج2، ص278-279.

(206) تاريخ ابن القلانسي، ص297–301؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص209–211.

(207) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص579، ص735؛ بشأن الخلافات بين الملك العادل وأبناء أخيه صلاح الدين الأيوبي، وكذلك خلافات أبناء العادل (الكامل، المعظم، الأشرف) انظر التاريخ المنصوري، ص2–62؛ مفرج، ج4، ص 406؛ السلوك، ج1، ق1، ص221، 222.

(208) تاريخ ابن القلانسي، ص297–301؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 255–258؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص3–4.

(209) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص39–40.

(210) الكامل، ج10، ص 255– 265؛ التاريخ المنصوري، ص 10 ومابعدها؛ مرآة الزمان، ج8، ق2، ص735، 579، 479؛ مفرج، ج2، ص17 وما بعدها.

(211) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص481–503.

(212) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص332، 412–413، ق2، 482، 468، 517؛ انظر ترجمته، تراجم، 165؛ تاريخ الإسلام (651–660)، ص183–186.

(213) مرآة الزمان،ج8، ق1، ص25؛ مقارنة، الكامل، ج9، أحداث عام (502هـ).

(214) مرآة الزمان،ج8، ق1، ص37، ص114؛ انظر ترجمة: سقمان بن أرتق عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص234–235.

(215) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص13

(216) وليم الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، ط1، دمشق: دار الفكر، 1990م، ج1، ص489، 509؛ تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص455.

(217) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص35؛ الاستيلاء على عسقلان، انظر: الكامل، ج9، ص139–140

(218) الكامل، ج9، ص139.

(219) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص544؛ تاريخ الإسلام (611–620)، ص30.

(220) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص35–37.

(221) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص172 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج8، ق1، ص35؛ ويذكر ابن الأثير أن بلدوين قرر عليهم عشرين ألف دينار، ابن الأثير، ج9، ص139.

(222) تاريخ ابن القلانسي، ص171؛ مرآة الزمان،ج8، ق1، ص27–28؛ ويذكر ابن الأثير أن الصلح تم بين طغتكين صاحب دمشق وبلدوين ملك بيت المقدس لمدة أربع سنوات، الكامل، ج9، ص139.

(223) مرآة الزمان،ج8، ق1، ص36.

(224) تاريخ ابن القلانسي، ص 171؛ مرآة الزمان،ج8، ق1، ص30.

(225) الكامل، ج10، ص156–159؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص398.

(226) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص293.

(227) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص343.

(228) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص270.

(229) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص80؛ انظر تاريخ وفاة بلدوين ملك بيت المقدس وليم الصوري، ج1، 567–571؛ Matthieu, d'Eessa Chronicle, in Recueil des Historiens des CroisadesÙDocuments Armeniens, Paris, 1869, Vol.1, p.119.

(230) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص271.

(231) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص552–556.

(232) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص30–45؛ وليم الصوري، ج1، ص579، 657؛ مؤلف سرياني رهاوي، الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، منشور في كتاب الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دمشق: مطبعة الملاح، 1984، ج2، ص477–479.

(233) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص38؛ انظر غدر أرناط، الروضتين، ج3، 274؛ مفرج، ج2، ص185.

(234) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص37.

(235) الحمام الهوادي: نوع من الحمام يعرف باسم المناسيت تطير إلى مسافات بعيدة؛ الكامل، ج10، ص38.

(236) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص285.

(237) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص284، 270–272.

(238) مرآة الزمان، ح8، ق1، ص293.

(239) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص16.

(240) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص69، ص280.

(241) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص477.

(242) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص570، 649، 619، 597، 579، 662، 701.

(243) انظر هامش (175).

(244) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط1، عمان: دار الشروق، 1990م، ص154؛ Matthieu, d'Eessa in R.H.C-D.Occ,Vol.,1,P.109Ù110؛ تاريخ ابن القلانسي، ص187–188، 198–202؛مرآة الزمان، ج8، ق1، ص53. مؤلف سرياني رهاوي (زكار)، ج2، ص476.

(245) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص192–197؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص56,2

(246) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص197–198؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص63.

(247) انظر الكامل، ج9، ص178؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص80–81.

(248) تاريخ ابن القلانسي، ص200–201؛ Matthieu, d'Eessa in R.H.C-D.Occ,Vol.,1,P.109-110؛

الكامل، ج9، ص185–186؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص79؛ ابن العديم، زبدة، ج2، ص186–190؛ مؤلف سرياني رهاوي(زكار)،ج2، ص477–478.

(249) فوشيه الشارتري، ص212؛ in R.H.C-ÙD.Occ,Vol.,1,P.109Ù110 Matthieu, d'Eessa؛ تاريخ ابن القلانسي،ص212؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص113–114؛ ابن العديم،زبدة، ج2، ص 217؛ الأعلاق، ج1، ق2، ص108.

(250) انظر تاريخ ابن القلانسي،ص308؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص 203.

(251) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص80,25

(252) انظر تاريخ ابن القلانسي، ص231–232؛ مرآة الزمان، ج8، ق1، ص135.

(253) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص80.

(254) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، عرف بابن الأثير الجزري، ولد في جزيرة ابن عمر، انتقل إلى بغداد والقدس ودمشق وحلب طلباً للعلم، توفي عام (630هـ/ 1233م)، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص336–337.

(255) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص321.

(256) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص311.

(257) الكامل، ج10، ص35–37، 156–159؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص321؛ الروضتين، ج2، ص 226– 228.

(258) انظر الكامل، ج9، ص465، ج10، ص 3– 5، 11– 15؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص324.

(259) انظر ابن الأثير، الكامل، ج10، ص55–60؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص324؛ أبو شامة، الروضتين، ج2، ص46–63، 85– 120.

(260) عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد، ولد في بيسان سنة (529هـ/ 1134م) ونشأ في مصر، عمل في صناعة الإنشاء، توفي عام (596هـ/ 1199م)، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص472–473؛ الروضتين، ج4، ص472–482.

(261) مرآة الزمان، ج8، ق2، ص472.

(262) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص329.

(263) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص327–328؛ بشأن توحيد الجبهة الإسلامية، انظر الكامل، ج10، ص65–81؛ أبو شامة، الروضتين، ج2، ص305–374؛ مفرج، ج2، ص17–42، 33–44.

(264) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص354؛ مفرج، ج2، ص238.

(265) مرآة الزمان ج8، ق1، ص398؛ انظر الخطبة كاملة، الروضتين، ج3، ص 376–390؛ مفرج، ج2، ص218–227؛ انظر إخراج الفرنج الصور، مفرج، ج214،2–216.

(266) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص398.

(267) العماد الأصفهاني أبو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج، تولى مناصب مهمة في بغداد ودمشق، صنف مجموعة من المؤلفات منها" البرق الشامي"، "خريدة القصر وجريدة العصر"، "الفيح القسي في الفتح القدسي"، توفي عام (597هـ/ 1201م)، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص504-505؛ وفيات، ج3، ص76-78.

(268) انظر الأصفهاني، عماد الدين (ت597هـ/ 1201م) البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، الأردن1987،م، ج3، ص53، 71؛ مرآة الزمان، ج8، ق2، ص477؛ انظر عمل عماد الدين الأصفهاني عند صلاح الدين الأيوبي، الروضتين، ج2، ص388.

(269) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص395؛ مفرج، ج2، ص203؛ عماد الدين الأصفهاني، محمد بن محمد (ت597هـ/ 1201م): **الفيح القسي في الفتح القدسي**، دار المنار، 2004، ص64، 82-83.

(270) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص312-313؛ بشأن أسر جوسلين الثاني، انظر تاريخ ابن القلانسي، ص310؛ انظر: وليم الصوري، ج2، ص793؛ زبدة، ج2،ص 301-302.

(271) مرآة الزمان، ج8، ق1، ص409-410؛ مفرج، ج2، ص368.

* * *